

محمد (ص) حبيب المؤمنين



يقول ﷻ تعالى في محكم كتابه: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) (آل عمران/ 31-32).

تمهيد:

ورد في سبب النزول أنه ادعى جمع من الحاضرين في مجلس رسول ﷻ (ص) أنهم يحبون ﷻ، مع أن العمل بتعاليم ﷻ كان أقل ظهوراً في أعمالهم. فنزلت هاتان الآيتان بشأنهم.

تقول الآية أن الحب لا يكون بالارتباط والميل القلبي فحسب، بل يجب أن تظهر آثاره في عمل الإنسان، فإن دعوى الحب ﷻ إذا كانت صادقة ينبغي أن تظهر وتجلّى في أعمال الشخص الذي يدعيه، هل يتبع النبي (ص) حقاً أم لا: (إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي).

فإن من آثار الحب واقعاً ميل وانجذاب المحب نحو المحبوب، في أقواله وأفعاله وأعماله، بحيث يستجيب المحب للمحبوب في كل أوامره ونواهيه، وإلا لو كان المحب للمحبوب عاصياً ومتمرداً، فهذه علامة على أن حبه غير حقيقي بل ادعائي لا يتجاوز لسانه.

وهذا ليس خاصاً بمن نزلت فيهم الآيتان، بل يعم جميع العصور والشعوب، فإن الذين يدعون محبة النبي (ص) والأئمة (عليهم السلام) والمجاهدين والشهداء والصالحين والمتقين، ولكن أعمالهم أبعد ما تكون عن مشابهة أولئك، هم كاذبون.

ورد عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: "ما أحبُّ إلا عزٌّ وجلٌّ من عناه".

ثمَّ قرأ الأبيات:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه *** هذا لعمرك في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته *** إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيع

إذا كننا حقاً نحبُّ إلا بحيث ظهرت آثار ذلك الحبِّ في أعمالنا وأخلاقنا، من خلال اتباع من فرض
الطاعته: (إِنَّ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي)، فإنَّ الله تعالى سبحانه أيضاً
بالمقابل: (يُحِبُّكُمْ اللَّهُ)، وسوف تظهر آثار حبه لنا من خلال غفران الذنوب، وشمولنا برحمته
التي وسعت كلَّ شيء: (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، وهذا معنى شفاعته
نبيِّنا (ص).

فما هو معنى الحبِّ؟

معنى الحبِّ:

فالحبُّ: هو الوداد والمحبة والميل الشديد، ويُقابله البغض والتنفر. والتحبُّ هو إظهار
الودِّ والحبِّ.

فالحبُّ: هو الميل القلبي والباطني نحو المحبوب، فلا يكون الشيء محبوباً إلا إذا مالت النفس
إليه. وهذا الميل ذو درجاتٍ ومراتب، فإذا قوي هذا الميل واشتدَّ سُمِّيَ عشقاً.

أيُّ أنَّ الحبَّ هو تعلق خاصٍّ وانجذاب مخصوص شعوري بين الإنسان وبين كماله.

فمحبَّة العبد لله تعالى لما أنَّ الذات الإلهية هي الكمال المطلق غير المتناهي، والإنسان مفطور
على حبِّ الكمال والميل نحو كماله المطلق، ولا يرضى بكمالٍ محدود حتى يطلب كمالاً آخر أشدَّ وجوداً
وأكثر كمالاً.

وأما محبة الله عبده فلما أنَّ الذات تحبُّ آثارها، وصاحب الكمال والأسماء الحسنی يحبُّ مظاهر
كمالها وتجليات أسمائه، وكلَّما كان الأثر أكثر دلالةً على ذي الأثر، والمظاهر على الكامل المطلق،
اشتدَّ الحبُّ، والأثر لا يكون أكثر دلالةً على الذات إلا بالطاعة والفناء بها، وكذا المظاهر
والتجليات لا يشتدُّ تجليها وظهورها إلا بالقرب من المتجلي والظاهر. فأحبُّ الموجودات إلى الله
تعالى هو أقربهم إليه من حيث الكمال والمطهرية والتجلي، وهو النبيُّ الأكرم (ص).

درجات الحبِّ:

لما كان الحبُّ عبارة عن تعلق وجودي بين المحبِّ والمحبوب، فهو يسري في جميع الموجودات، وهو
من المفاهيم المشكَّكة أي له مراتب متفاوتة من حيث الشدَّة والضعف والدرجة والمرتبة، لذا مراتب
الحبِّ عديدة ويمكن ذكر بعضها:

الدرجة الأولى: وهي ادعاء الحبِّ على مستوى اللسان. وهذا ليس حباً حقيقياً، وليس درجة أو
مرتبة حقيقية.

فإن من علامة المحب العمل بما يحبه محبوبه ويفرّ به منه، روى جابر عن أبي جعفر (ع) قال: قال لي: "يا جابر أيكثفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة، وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائهم في الأشياء".

-3 زيارة رسول الله (ص):

لا يخفى على أحد ما للزيارة من ترسيخ علاقة أو ارتباط وتعلق بمن نزوره، فكيف لو كان رسول الله (ص)، فإنّه الوسيلة إلى الله والشعيرة التي أمرنا بتعظيمها: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (الحج/ 32).

وقد ورد في فضل وثواب زيارة النبي (ص) روايات عدّة، منها ما عن الإمام الرضا (ع): يا أبا الصلت إن الله فضل نبيه محمداً على جميع خلقه من النبيين والملائكة، وجعل طاعته طاعته، ومتابعته متابعته، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته، فقال: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدِ اطَّاعَ اللَّهَ) (النساء/ 80)، وعن: (إِنَّ الَّذِينَ يُدَيِّعُونَكَ إِزْمَامًا يُدَيِّعُونَ اللَّهَ) (الفتح/ 10)، وقال رسول الله (ص): "من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله".

وعن الإمام أبي عبد الله (ع) قال: "قال رسول الله (ص): من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة".

وعن الإمام أبي عبد الله (ع) قال: "بيننا الحسين بن عليّ في حجر رسول الله (ص) إذ رفع رأسه فقال: يا أبا لهب لما لمن زارك بعد موتك؟ فقال: يا بني من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنة. ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة".

عن الإمام محمد بن عليّ بن الحسين (عليهم السلام) قال: "قال رسول الله (ص): من زارني أو زار أحداً من ذريّتي زرت يوم القيامة فأنقذته من أهوالها".

-4 دفع الأذى عنه (ص):

يقول (ص): "ما أودى نبيّ مثل ما أوديت".

فقد نال (ص) من أمته - أعمّ من كفّارهم ومؤمنهم ومنافقيهم - من المصائب والمحن وأنواع الزجر والأذى ما ليس في وسع أحد أن يتحمّله إلا نفسه الشريفة.

وهو - أرواحنا فداه - ما زال يتمّ توجيه الأذى والإساءة إليه حتى بعد رحيله (ص)، كما في زماننا هذا، سواء من قبل أعدائه أم من قبل بعض ممّن يدعون أتباعه ومحبيه.

وكذلك ما نال عترته (ص) وأهل بيته بعد ارتحاله من قتل وظلم وجور.

فمن كان يدعي الاتباع والمحبة للنبيّ (ص) لا ينبغي أن يظلم ويكفّر غيره من المسلمين باسم النبيّ (ص) الذي قال الله عنه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء/ 107)، وعلى المسلمين منع إساءة المنكرين لنبوته (ص)، فكيف يقومون هم بالإساءة؟!

من آثار اتباع ومحبة الرسول (ص):

النبي الأكرم (ص) هو مظهر المحبة الإلهية، فيلزم أن يكون للمتابع والمطيع للنبي (ص) قسط من محبة □ تعالى بقدر نصيبه من المتابعة والطاعة، فيلقي □ تعالى محبته عليه بواسطة محبة النبي (ص)، فيصير محبوباً □، ومحباً له، ولو لم يتابع النبي (ص) بل خالفه، ابتعد عن وصف المحبوبة وزالت المحبة عن قلبه، إذ لو لم يحب □ تعالى لم يكن محباً له، فيقع في الكفر: (فَإِنَّ تَوَلَّوْا فَوَالِئِنَّ اللَّهَ لَ يَحِبُّ الْكَافِرِينَ).

عن الإمام الصادق (ع): "من سره أن يعلم أن □ يحب فليعمل بطاعة □ وليتبعنا، ألم يسمع قول □ عز وجل لنبيه (ص): (قُلْ إِنَّ كُنُوتَكُمْ تَحِيْبُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)؟، □ لا يطيع □ عبد أبداً إلا أدخل □ عليه في طاعته اتباعنا، ولا □ لا يتبعنا عبد أبداً إلا أحببه □، ولا □ لا يدع أحد اتباعنا أبداً إلا أبغضنا، ولا □ لا يبغضنا أحد أبداً إلا عصى □، ومن مات عاصياً □ أخزاه □ وأكبّه على وجهه في النار".

وعنه (ع): "فمن أحب □ أحببه □ عز وجل، ومن أحببه □ عز وجل كان من الآمين".

2- غفران الذنوب:

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الذُّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة/ 222).

إذا أحب □ عبداً غفر له ذنوبه وشملته رحمته، لأن محبة □ عبده رضاه عنه، وهو سبب لغفران ذنوبه وكمال فوزه بالسعادة العظمى وكمال نور إيمانه ووجوب الجنة له، فإذا من آثار محبته النبي (ص) غفران الذنوب.

عن الإمام أبي جعفر (ع) عن أمير المؤمنين (ع) - في خطبة له - قال: "وقال في محكم كتابه: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) (النساء/ 80)، فقرن طاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، فكان ذلك دليلاً على ما فوض إليه، وشاهداً له على من اتبعه وعصاه. وبين ذلك في غير موضع من الكتاب العظيم، فقال تبارك وتعالى في التحريض على اتباعه، والترغيب في تصديقه والقبول لدعوته: (قُلْ إِنَّ كُنُوتَكُمْ تَحِيْبُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) فاتباعه (ص) محبة □، ورضاه غفران الذنوب وكمال الفوز ووجوب الجنة، وفي التولي عنه والإعراض محادة □ وغضبه وسخطه. والبعد منه سكن النار، وذلك قوله تعالى: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) (هود/ 17)، يعني الجحود به والعصيان له".

3- الشفاعة:

قال رسول □ (ص): "أعطيت خمسا لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب، وأحل لي المغنم، وأعطيت جوامع الكلم، وأعطيت الشفاعة".

عن الإمام علي بن موسى الرضا، عن آبائه (عليهم السلام)، عن أمير المؤمنين (ع) قال: قال رسول □ (ص): "أربعة أنالهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي في أمورهم ما اضطرروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه وعندما اضطرروا". ▶

